

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.
 إن من أخطر ما وقعت به الحركات الإسلامية المعاصرة على اختلاف توجهاتها ورؤاها هو الدخول في التحالفات مع قوى الجاهلية المعاصرة.
 وقد بدأت المصيبة منذ أن دخل الفكر القومي إلى مجتمعاتنا متوافقاً مع الهجمة الصليبية الاستعمارية الأخيرة والتي التقت في زمانها مع سقوط دولة الخلافة، وكانت بداية الانحراف على اتجاهين:-
 الأول: دخول جماعات من المشايخ والعلماء في تأييدهم للخط القومي -مع مسوح إسلامية ساذجة- الخارج على دولة الخلافة، ونقصد بالخط القومي ما يقال له اليوم "الثورة العربية الكبرى" والتي أطلقها منتسب لآل البيت -وهو حاكم مكة المعين من قبل الخليفة العثماني في استنبول الحسين بن علي-، وهي حركة قادتها لهم التوجه القومي، كالأمير فيصل الثاني والذي سمي بعد ذلك ملكاً على العراق وسوريا مع الدفع الغربي الاستعماري والذي كانت تقوده بريطانيا في تلك الفترة، حينها خرج جماعة من المشايخ لتأييد هذه الثورة ضد آل عثمان ومن هؤلاء الشيخ "محمد رشيد رضا" و "محب الدين الخطيب" وغيرهم، حيث رأوا في هذه الحركة إعادة للخلافة الإسلامية إلى أهلها العرب، وبسبب ظروف سيطرة جماعات التنريك التي بدأت تسيطر على الخلافة العثمانية وعلى ولايتها في المناطق التي تخضع لها، هذه وغيرها من الأسباب جعلت هذه الجماعات من المشايخ والعلماء يقفون مع هذه الثورة القومية الاستعمارية ضد الدولة العثمانية.
 فهذا هو بداية الاستغلال القومي للعاطفة الإسلامية، والذي ستعقبه سلسلة طويلة من هذا الاستغلال وإلى يومنا هذا.

الثاني: حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حركة إسلامية أصيلة، لم تخرج أبداً عن دولة بني عثمان، بل أرسل القادة الأوائل رسائل إلى شريف مكة المعين من قبل الخليفة في "استانبول" يبينون فيها عدم خروجهم عن السلطة العثمانية، وهناك وثيقة معروفة تثبت هذا، ولما رأى محمد على الألباني حاكم مصر ذات التوجه الإنجليزي أن في هذه الحركة تهديداً لمصالحه ومصالح الإنجليز، وذلك بعد التحالف الوثيق بين دولة التوحيد التي أقامها محمد بن عبد الوهاب مع حلفائه من آل سعود في زمن عبد العزيز بن محمد بن سعود -تلميذ الشيخ محمد- مع القواسم على شاطئ الخليج الفارسي في تكوين أسطول صغير لقطع الطريق على السفن الإنجليزية المحملة بالبضائع والغنائم من الهند، حينها توجه محمد علي للقضاء على هذه الدولة الفتية بحجة خروج هذه الدولة على نظام الخلافة.
 وما زال الناس للأسف حتى بعض الحركات الإسلامية يرون رؤية محمد علي في هذه الدولة وهو ظلم وخطأ شنيع، وبعد القضاء عليها وقتل علمائها الأخيار وسوق أهلها إلى مصر -راجع أخبار وصولهم إلى مصر في تاريخ الجبرتي- ثم عودتهم مرة أخرى بعد موت محمد علي ومحاولتهم إقامة الدولة مرة ثانية إلا أنه قضي عليها في تلك الفترة على يد أبنائها المتنافسين على الملك -اقرأ هذا التنافس في كتاب جامع المسائل والرسائل النجدية وبعضها في فتاوى أهل العلم في الأجزاء الأخيرة في الدرر السنية-.

ثم جاء بعد ذلك الخبيث عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وأقام هذه الدولة المعاصرة، ورفع شعار الدين والتوحيد في استغلال طوائف السنة وبقايا اثر العلماء الأوائل، ومنذ ذلك الوقت استندت هذه الدولة في وجودها على إحدى ألوان الطيف في داخل الحركات الإسلامية، وهو المسمى بالخط السلفي، ووقع في حبال هذه الدولة الكثير من المشايخ والعلماء تحت هذه الدعوى، فكانت هذه الدولة

في صورتها كخط يميني موالٍ للغرب دون عداءٍ لإسلام معدل بداية الاستغلال للعلماء والمشايخ والحركات الإسلامية.

وهكذا كانت جريمة التحالفات بخطيها القومي والإسلامي المنحرف -اليمين الغربي- وإذا أردنا ذكر تاريخ هذه التحالفات وأفرادها وما وقع إلى يومنا هذا فإنه يطول على هذا المقام، ويحتاج إلى مؤلف مستقل.

وفي كل يوم يخرج إلينا ألام هذه التحالفات بقاسم مشترك مزعوم بين الإسلام وبين هذين الخطين، فمرة تحت دعوى التحرر والاستقلال، ومرة تحت دعوى المصلحة الوطنية، ومرة تحت دعوى الوقوف أمام الإلحاد والشيوعية، ومرة تحت دعوى الاتحاد أو تحرير فلسطين، وأخيراً تحت دعوى تحقيق الديمقراطية وترسيخ أجواء الحرية، وفي كل مرة كان الوقود هم شباب الإسلام، وثمار التحالف تؤول إلى جرين خصوم الإسلام.

* تحالف الإخوان المسلمون مع عبد الناصر ثم انقلاب عليهم.

* تحالف الإخوان المسلمون مع القوى الوطنية المرتدة في سوريا.

* تحالف المشايخ مع النظام السعودي.

* تحالف ألوان الطيف الإسلامي كله مع النظام اليمني.

* تحالف ألوان طيفٍ متعددة من المسلمين مع نظام صدام.

* دخول جماعات إسلامية متعددة مع السلطة التنفيذية والتشريعية في أكثر من بلد.

إلى آخر سلسلة المصائب.

ولو سألت سائل ما أسباب ذلك وإلى أي الجذور تعود هذه التصرفات من هؤلاء المشايخ والحركات؟! والجواب يعود إلى انحراف هؤلاء المشايخ وهذه الحركات في شقي ما يحتاجه المفتي:

* الفهم العميق لدين الله عز وجل.

* الفهم العميق للواقع.

فالمفتي لا يصيب إلا بإدراك الفقيه للحكم الشرعي والحكم القدري -الكوني-، وللأسف كان هؤلاء قد فقدوا الكثير من عوامل الفقه لهذين الركنتين.

أما جهلهم بدين الله عز وجل في هذا الباب: فقد جهل القوم مقاصد الجهاد في دين الله عز وجل، وإذا أردت كشف الحالة كما هي فانظر إلى ما يردده القرضاوي في أكثر من مقام أننا لا نقاتل اليهود بسبب دينهم، وهو قول قاله من قبله الشيخ حسن البنا رحمه الله، ثم جهلوا حكم الله في هذه التحالفات، وقرأ إن شئت الكتاب السيء لمنير الغضبان "التحالف في الإسلام" والذي أصدره عندما نشأ التحالف الضال بين الإخوان المسلمين ومجموعة من المشايخ مع قوى الردة والكفر في سوريا الشام، لتعلم مقدار فهم هؤلاء لدين الله سبحانه وتعالى وطريقة احتجاجهم بالنصوص على صورة لم يعهد لها أهل الفقه من أئمتنا، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف في الإسلام وقال: ((لا حلف في الإسلام)) -وربما يأتي من المناسبات ما نفصل فيه الرد على أدلتهم الوهمية-

أما جهلهم بالواقع: فإن عدم معرفتهم بسبيل المجرمين الذي أمرنا بمعرفته في قوله عز وجل: {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين} هو الذي أوقعهم في هذه التحالفات المقيتة، وذلك أنهم لم يتقوا بما أخبر الله عز وجل به من خبث طوايا الكافرين وسوء مقاصدهم وقذارة قلوبهم، فظنوا لو هلة أنه ربما كفر الشيطان وأتباعه لعدم وضوح صورة الحق لديهم، وأنه يمكن لهؤلاء الكفار أن يريدوا خيراً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومع أن التجارب توظف الغافل وتعلم الجاهل إلا أن القوم أبوا أن يتعلموا من التجارب مع أن الحديث النبوي يقول: ((لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين)) إلا أنهم أبوا إلا أن يزيدوا كلمة في ختام الحديث وهي كلمة "فقط" فكان لا بد للرجل أن يلدغ أكثر من مرتين حتى يكون مؤمناً.

على الرغم من صدور الكثير من المذكرات التي تبين خبث هؤلاء القوم إلا أن سلسلة التحالفات ما زالت قائمة وإلى يومنا هذا.
كنت أريد التفصيل أكثر لكني جعلت هذه المقالة أشبه بنقاط رئيسية تصلح كل واحدة لمقالة مستقلة.
وجزاكم الله خيراً.